



هدم نظام الأسد مؤخراً أهالي مدينة معضمية الشام المحاصرة وثارها، إما "الاستسلام دون شروط أو الاقتحام وال الحرب المفتوحة والمحاصرة الخانق حتى الموت"، كما هي الحالة في بلدة مضايا، تعيش المعضمية الآن على اعتاب حرب قدرة بكل المقاييس، حيث حياة خمسة وأربعين ألفاً من المدنيين الموجودين داخلها باتت تحت نار النظام، الذي أمن على نفسه من هذا العالم المليء بالمنظمات والهيئات وال المجالس التي تدّعي حماية الإنسان وحقوقه.

في وقت أثبت فيه الثورة السورية أن ما تسمى بالإنسانية أصبحت في عداد الأموات منذ سنوات خمسٍ جدّ عجاف، ومن هنا وفي هذه الظروف الخطيرة التي تمر بها الثورة السورية، وتمر بها معضمية الشام أحد أهم حصون الثورة وقلاعها كان الاستسلام المطلق للوضع الراهن، واليأس ممن يدعون أنفسهم بأنهم معارضة سواء في الخارج أو في الداخل بشقيها السياسي والعسكري، هو سيد الموقف لدى أهالي مدينة معضمية الشام وثارها.

المعضمية والهدنة الهشة:

بالعودة إلى الوراء وبتاريخ 25/12/2013 كان أن عُقدت هدنة بين النظام من جهة ومعضمية الشام من جهة أخرى بعد حصار أودى بحياة حوالي خمسة عشر من أهالي المدينة بينهم أطفال جراء الجوع، كانت شروط الهدنة واضحة وهي وقف إطلاق النار من الجانبين وتسلیم بعض قطع السلاح المتوسط مقابل فك الحصار ودخول المواد الغذائية، والسماح للأهالي بالعودة إلى بيوتهم، وعدم التعرض لأحد منهم، على أين يبقى كلُّ في موضعه، إن كان النظام أم الثوار.

هنا وفي موضوع الهدنة سعى النظام جاهداً لإنجاحها ليتخذ منها مثلاً يقوم بتعيمه على باقي المناطق خاصة في محيط

دمشق، ليخفّ الضغط الهائل الذي كان يعانيه على أطراف العاصمة من جميع الجهات خاصة الغوطة الشرقية والأحياء الجنوبية، ونجح بالفعل، فيما كانت هدنة معضمية الشام خطأً فادحاً ما كان يجب أن يرتكب رغم المعاناة التي كانت تشهدها المدينة، لما حمل من تبعات على الريف الدمشقي ومحيط دمشق ومناطق أخرى.

وهنا لا ننسى محاولات النظام الدائمة والمستمرة لجس نبض ثوارها على التغور ومحاولات اقتحامه المستمرة طيلة فترة الهدنة، هذه المحاولات التي دائماً ما كانت تلقي الرد القاسي والجهوزية الكاملة من الثوار، ومن خلال الهدنة ومع عودة القسم الكبير من أهالي المدينة بدأ النظام لعبة شد الحبل تارة وإرخائه شيئاً ما تارة أخرى، محاولاً الحصول على المزيد من المكاسب.

فيما كانت المشكلة الكبرى التي تنفسن الهدنة بين الفينة والأخرى، هي محاولات النظام الفصل بين المعضمية وداريا عبر طلبه إقامة حواجز مشتركة من قواته وثوار المعضمية في محاولة منه لجر داريا إلى هدنة تريح جانبه وتؤمن مدخل دمشق الغربي، هذه المحاولات التي كانت تجد جواباً قاطعاً بالرفض من قبل المشرفين على معضمية الشام والأهالي، رغم كل التهديد والوعيد وإغلاق المعبر أكثر من مرة.

التوأمة مع داريا:

تکاد تكون معضمية الشام وداريا المدينتان الوحيدتان في الريف الغربي لدمشق اللتان تتدخلان عمرانياً في المنطقة الواقعة جنوب المعضمية وشمال داريا، لتشهدا مع بعضهما في هذه المنطقة كمدينة واحدة، فيما تعتبر هذه المنطقة سرقة هاتان المدينتان، حيث شكلتا منذ اليوم الأول جبهة واحدة، حتى منذ زمن النظائرات السلمية التي كثيراً ما التقى فيها أبناء المدينتين معاً في تظاهرة واحدة.

فكرة الجبهة الواحدة بدأت تترکز أكثر فأكثر منذ الحملة العسكرية التي بدأها النظام في محاولة اقتحام داريا، ومناصرة ثوار المعضمية لها والذين قدموها على جبهتها نحو خمسين شهيداً تقريباً، ثم بداء النظام حملته لاقتحام المعضمية أيضاً في خطوة تهدف لتشتيت ثوار المدينتين عليه يقتسمهما سوية، فيما كان الفشل هو العنوان حتى اللحظة.

هذه الجبهة الواحدة المتتسقة بين المعضمية وداريا هي ما يحاول النظام الآن في هذه الأوقات شقها والفصل بينها، مستخدماً آلته العسكرية بكل ثقلها المدعومة بالتقنولوجيا والطيران الروسي، والمليشيات الأجنبية من إيران وحزب الله وغيرهم، حيث باتت هذه المنطقة الآن هدفاً لخطوة جديدة في مشروع التغيير الديموغرافي الذي يعمل النظام عليه في محيط دمشق، ابتداءً بالزبداني وليس انتهاءً بالمعضمية وداريا.

أسلحة جديدة واستراتيجية جديدة:

بالعودة إلى الأحداث الجارية الآن في معضمية الشام، فقد بدأ النظام 03/11/2015 حملته العسكرية الحالية على الجبهة الجنوبية الغربية من المدينة، والتي يطلق عليها الثوار "جبهة الشياح" -نسبة لاسم المنطقة من غابة الزيتون هناك- بهدف التقدم باتجاه الشرق وصولاً إلى "جبهة الأثرية"، وبهذا يكون قد تم له ما يريد من فصل مدينة داريا عن معضمية الشام بشكل كامل.

منذ بداء المعارك استخدم النظام أنواعاً جديدة من الأسلحة، تحت غطاء جوي روسي كثيف، وسط كثافة نيران عالية من مدفعية وغيرها، فيما كانت البراميل المتفجرة على غير عادتها تحقق إصاباتها بدقة عالية مستهدفة مناطق الاشتباك، كما أن النظام يستخدم كاسحة ألغام بارتفاع يصل لسبعة أمتار وزن يتجاوز الثمانين طناً تردم ما تجده من أنفاق ولا تتأثر بقاذفات آر بي جيه التقليدية، وخلفها مدرعات ودببات وآليات محسنة تحصيناً عالياً.

تشير الاحصاءات إلى أن عدد الشهداء الثوار الذين استشهدوا على هذه الجبهة منذ ثلاثة أسابيع تقربياً بلغ سبعة وعشرين، فيما بلغ عدد الجرحى في هذه الأسابيع نحو مئة وثلاثين، كما استهدف النظام هذه المنطقة بتاريخ 2015/12/22 ببرميل يحوي غاز السارين أسفراً عن مقتل خمسة من المدنيين، هذا الغاز والذي سبق ومنع استخدامه بقرار من مجلس الأمن تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، بينما كان عدد البراميل التي سقطت على هذه الجبهة منذ تاريخ بدء الحملة العسكرية على الجبهة الجنوبية يصل للمئات، حيث كانت تبلغ الخميس برميلاً تقربياً في يوم واحد.

هذا الوضع الميداني وهذه الإحصاءات لا تبني بخير قادم على جبهة المعصمية داريا بحسب الواقع الحالي، بالتزامن مع دخول الروس على الساحة السورية بكل قوة، كيف لا وفلاديمير بوتين قيصر روسيا الحالي والذي يصنفه البعض بنفس الخانة مع هتلر، يقود الدبلوماسية الروسية نحو أمجاد السابق وفق عقلية الحرب العالمية الثانية، وما قبل الحرب الباردة.

كارثة إنسانية في الأفق:

لا أظن أننا بحاجة للسؤال من أجل معرفة الوضع الإنساني الدقيق والسيء لدرجة ما بعد الكارثة لمدين تعاني من الحصار والجوع والحرمان والقتل سواء معصمية الشام أم أي مدينة سورية محاصرة، ولكن بسؤالنا أحد أعضاء الفريق الطبي "عمر الحكيم" عن الوضع الإنساني الحالي في معصمية الشام، أخبرنا أن الدواء من نوع عن المدينة منذ خمس سنوات تقريباً.

وما كان يدخل تهريباً يكلف عشرة أضعاف سعره ولا يغطي ولو جزءاً يسيراً من الحاجة، كما يمنع النظام المحروقات التي تشغله المشفي الميداني منذ ثلاث سنوات، حيث يكلف سعر ليتر المازوت من أجل المشفى حوالي 3500 ليرة سورية أي بحدود خمسة وعشرين ضعفاً عن ثمنه في العاصمة التي لا تبعد عن المعصمية سوى عشرة كيلومترات.

أغلق النظام المعبر الوحيد للمدينة بتاريخ 2015/12/26 ، تاركاً الخمسة وأربعين ألفاً من المدنيين لمصيرهم المجهول والذي تحدهه الآلة العسكرية. لا يوجد أي نشاط اقتصادي مهما كان بسيطاً حتى على مستوى محلات لبيع أساسيات الحياة، فالبطالة تصل نسبتها حد 100 بالمئة. وحتى البساتين التي زرعها الناس ليجنوا منها مخصوصاً يكون لهم عوناً على ظروف الحياة القاسية، كانت البراميل المتفجرة له بالمرصاد لتحيل الزرع إلى أثر بعد عين. حيث لم يبق للأهالي إلا الخضروات المزروعة في حدائق المنازل والتي لا تسد الرمق.

وما ينطبق على المدينة من حصار يستهدف بالدرجة الأولى الأطفال، فلا حليب لهم ولا غذاء ولا أية مستلزمات تخصهم ويحتاجونها مهما كانت بسيطة. فيما تعمل المدارس والتي تحوي نحو سبعة آلاف طالب تحت إشراف الأمم المتحدة، والتي ينقصها الكثير أيضاً.

لماذا المعصمية الآن؟

الحديث عن استراتيجية النظام بعد التدخل الروسي القوي على كامل التراب السوري ليس كما هو قبلها، حيث بات النظام لا يستخدم إلا لغة القوة منطلاقاً من التدخل الروسي الذي يصفه السوريون بالاحتلال، فلم نعد نسمع أن النظام يفاوض منطقة ما على هدنة بين طرفين، إنما بات يفاوض على استسلام المناطق أو الترحيل والتغيير demografique أو مواجهة الموت.

من هنا أرسل النظام في الآونة الأخيرة وذلك بعد أن قتل قائد جيش الإسلام في الغوط الشرقية زهران علوش، الإعلامي المحسوب عليه "رفيق لطف" مع وفد من جانبه إلى المعصمية ليملي شروط النظام والتي تنصل على تسليم الثوار لسلاحهم كامل وتسوية أوضاعهم وعوده مؤسسات النظام إلى داخل المدينة، أو انتظار الموت القادم لا محالة والذي بدأت بوادره في الجبهة الجنوبية للمدينة.

معضمية - داريا قلاع الغوطة الغربية:

تعتبر جبهة معضمية الشام وداريا الآن أحد أهم قلاع الثورة خاصة في محيط دمشق، حيث ما تزال تعتبر الشوكة في وجه مخططات النظام والتي باتت تتضح أكثر فأكثر في الآونة الأخيرة، إن على صعيد القضاء على القوى الثورية المقاتلة في محيط دمشق وريفها، أو على صعيد سياسة التغيير الديموغرافي واللعب على ضرب الحاضنة السنية للثورة بالقرب من العاصمة دمشق ضمن خطة تأمين حدود الكيان العلوي الممتد من الساحل مروراً بحمص وحدود لبنان إلى العاصمة دمشق، تطبيقاً لمفهوم "سوريا المفيدة" التي أطلقها بشار الأسد مؤخراً.

لذلك فقد وضع النظام خطته للقضاء على المعضمية وداريا بعد أن فرغ من جبال القلمون بالدعم العسكري الكبير من حزب الله اللبناني والحرس الثوري الإيراني، وبعد أن استكان له الوضع في أحياe دمشق الجنوبية، والغوطة الشرقية التي تقع تحت سيطرة جيش الإسلام، في الختام يجب القول إن مدینتي معضمية الشام وداريا الآن أحوج ما يكون إلى وحدة الصف خاصة على الجانب العسكري في ريف دمشق والغوطةتين بوجه التحديد انطلاقاً من المقوله المشهورة، أكلت يوم أكل الثور الأبيض.

أوريينت نت

المصادر: